الإطار الجغرافي والزمني لحضارة المايا

الأستاذة: دليلـة بورنـي

قسم التاريخ، جامعة الجزائر(2)

Résumé

La civilisation Maya fait partie de l'aire méso-américaine, définie telle en 1943 par l'archéologue américain Paul Kirchhoff. Elle couvre les frontières actuelles du Mexique, du Guatemala, du Honduras, du Belize et du Salvador, ce qui lui vaut une surface, qui s'étend sur plus de 325000 Km^2 et qui englobe un relief extrêmementdiversifié.

La Méso-Amérique orientale, si l'on excepte les montagnes du Guatemala est la zone des basses terres et des forêts tropicales, c'est aussi le pays des mayas actuels, dont les ancêtres venues d'Asie par le détroit de Béring pour s'installer progressivement en Amérique ou ils élaborèrent une des plus complexes civilisations du nouveau monde.

La civilisation Maya est apparue dans les forêts tropicales du Petén au Cœur du Guatemala, quelques siècles avant notre ère.Elle connut son apogée vers 250-900 de notre ère, ou période dite classique comme l'attestent la majorité des chercheurs et brillera en bien des domaines, tell'urbanisme, la sculpture et la poterie,l'astronomie,l'écriture et les mathématiques.

المفردات المفاتيح

أمريكا الوسطى، المكسيك، المايا، غواتيمالا، بيتان، السينوت، الكتابة الغليفية، تيكال، بالنك ، التولتك، الأزتك، يوكاتان.

I. تعمير القارة الأمريكية

قبل التعرف على الشعوب التي شيدت الحضارات الكبرى بأمريكا الوسطى، نتحدث أولا على أجداد تلك الشعوب حيث نتساءل كيف تم تعمير القارة الأمريكية، وهل تلك الشعوب محلية أصلية تطورت وسط مجالها الطبيعي الذي توفرت فيه شروط قيام حضارات أم أنها شعوب وافدة من أجزاء أخرى من العالم القديم عن طريق هجرات جماعية واستقرت بإرثها الأصلي في تلك المناطق؟ وإذا كان الجواب إيجابيا فمتى و كيف و من أين استطاعوا الوصول إلى هناك؟ حيث تعتبر تلك الأراضي جيولوجيا منعزلة [1]عن العالم المعروف من أوربا وآسيا وأفريقيا.

لهذا لا نستغرب بقاء التساؤل قائما لمدة طويلة حول أصل الإنسان القديم الأمريكي بدون إجابة منطقية والتي خضعت في البداية في مجملها للتأويل والافتراض أكثر، نظرا لانعدام الدليل المادي العلمي القاطع[2].

لكن مع بداية البحوث و الدراسات الأثرية وعمليات التنقيب المتواصلة من طرف المختصين في هذا المجال، سمحت في النهاية تلك الأعمال بإعطاء معلومات من خلال العثور على بعض المخلفات البشرية خاصة بعض الأدوات الحجرية المصنوعة من حجر الصوان الصلب منها رؤوس سهام، نصال ونصيلات في مواقع مختلفة منذ 1936م، ونذكر على سبيل المثال أهم تلك المواقع: موقع "كلوفيس" (Clovis) وموقع "سان رافئيل" تباعا(San Rafael) تباعا بالمكسيك الجديد وجنوب غواتيمالا، حيث يقدر الأثريون عمر تلك

الأدوات ما بين عشرة آلاف واثنا عشرة ألف سنة قبل الميلاد [3] بالإضافة إلى موقع "فولسوم" (Folsom) بالمكسيك الجديد أين عثر على العديد من رؤوس السهام والنصيلات والمكاشط والمثاقبكما تم العثور على أدوات متنوعة أخرى تتمثل في السكاكين و الفؤوس، وأدوات الزينة مثل حلق الأذن، ومعلقات العقود مصنوعة من الطين أو الصدف.

هذا دليل قاطع على وجود الإنسان الصانع في القارة الأمريكية على الأقل عشرة آلاف سنة قبل الميلاد. أما من حيث البقايا العظيمة البشرية فإنه لم يعثر على أثر لوجود سلالات قديمة مثل التي عرفتها القارة الأوربية أو الآسيوية وحتى الإفريقية من "البتكنتروب" (Pithecanthropus) أو "السينانتروب"(Misanthrope) أو حتى "النيوندرتال" (Neandertal) إذ أقدم العظام تعود إلى سلالة الإنسان العاقل (Homo-sapience)[4]، هذا ما ترك باب الجدال مفتوحا حول تحديد فترة تواجد الإنسان القديم في أمريكا[5] بدقة حيث ورد في دراسات مختلفة، تواريخ متعددة مثل ما جاء في كتاب "تومبسون" (Thompson)[6]. ان تاريخ الإنسان القديم في القارة الأمريكية لا يتجاوز حدود عشرة آلاف سنة قبل الميلاد أو عشرون ألف سنة على أقصى تقدير، أما المؤرخ "ليمان" (Lehmann) فقد سجل تاريخ خمسة عشر ألف سنة قبل الميلاد ولا تتعدى ثلاثون سنة قبل الميلاد إذ يرى بأنها فترة قصيرة جدا مقارنة بالمئة وخمسة وعشرون ألف سنة التي استغرقها الإنسان لتشييد الحضارات المختلفة التي عرفها التاريخ القديم[7]. ورغم قصر المدة فقد استطاع الإنسان في القارة الأمريكية أو العالم الجديد تشييد حضارات متعاقبة ذات معالم أثرية ضخمة تشهد على الرقي و الازدهار الذي وصل إليه أبهر من خلاله ذوي الاختصاص بإنجازاته المعمارية، وتقاويمه.

كذا يذكر المؤرخ "غلان كامب" (GallenKamp) الفترة مابين خمسة وعشرين ألف سنة قبل الميلاد، لكنه يرجح فترة عشرة آلاف سنة قبل الميلاد لظهور الإنسان القديم في أمريكا [8]، وعليه يتفق معظم المختصون على الفترة الممتدة بين اثني عشرة ألف سنة و عشرة ألف سنة قبل الميلاد لظهور الإنسان في العالم الجديد خاصة أمريكا الوسطى على الأقل، ومنه المجال الجغرافي لحضارة المايا وما قبلها من الحضارات على وجه التحديد.

هذا ويرجح الأثريون والجيولوجيون عامة على أن "مضيق برنجه" هو الطريق الذي سلكه الإنسان الأول للعبور نحو القارة الأمريكية، لأنه أقرب نقطة تتصل فيها القارة الأسيوية بالقارة الأمريكية وذلك خلال الفترة الجليدية المتأخرة للزمن الجيولوجي الرابع [9] حيث تجمدت آلاف الغالونات من مياه المضيق لتشكل جسرا طبيعيا بين القارتين مما سهل عملية العبور [10] بشكل متواصل وتدريجي على فترات مختلفة استغرقت آلاف السنين آخذة في اتجاهها العام [11]، الاتجاه شمال–جنوب عبر الأراضي الساحلية الغربية المحاذية للمحيط الأطلسي ثم نحو المناطق الداخلية الوسطى في كل من المكسيك وغواتيمالا، وصولا إلى أمريكا الجنوبية؛

هذا ما يؤكد فرضية أصل الإنسان الذي يكون آسيويا ويفسر الصفات والسمات المورفولوجيةالسيبيرية المنغولية السائدة لدى الشعوب الحالية أحفاد المايا وغيرهم[12].

مهما يكن من أمر فإن أمريكا الوسطى التي تضم كل من الميكسيك وغواتيمالا والهندوراس مع السلفادور والبيليز قد شهدت تطور حضارات متتالية، سميت أيضا بحضارات "الحجر الأخضر" أو عامة بحضارات الحجر المصقول[13].وهذه المنطقة الجغرافية هي نفسها التي احتضنت حضارة المايا.

II. المجال الجغرافي لحضارة المايا

يعيش أحفاد المايا على نفس المساحة التي يسكنها أجدادهم قديما منذ قرون خلت، على حوالي 900 كم من الشمال إلى الجنوب بداية من الشاطئ الشرقي لإقليم يوكا تان حتى سواحل المحيط الهادي، وعلى حوالي 500 كم من شمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ما بين مصب نهر أوزوماسينتا (Usumacinta) و خليج الهندوراس[14].

أما أثريا، فيحدد المختصون المجال الطبيعي لحضارة المايا وفق التوزيع العام للآثار ومخلفات شعب المايا حيث يتربع على مساحة إجمالية تقدر بحوالي 325.000 كلم^2 ،قابلة للتوسع باستمرار مواكبة الاكتشافات الأثرية الجديدة [15]ويضم حاليا بلدان متجاورة منها غواتيمالا، جزء من السلفادور والحدود الغربية من الهندوراس، وكل أراضي البيليز إضافة إلى معظم أقاليم المكسيك خاصة شبه جزيرة يوكا تان، إقليم كمباسوكوينتانارو، إقليم تابلسكو والجزء الشرقي من إقليم شيباس[16].

تقع كل هذه المنطقة جيولوجيا على الشق الرابط بين أمريكا الجنوبية والشمالية إذ يحدها جنوبا المحيط الهادئ، بينما تتقدم شبه جزيرة يوكاتان داخل خليج المكسيك والبحر الكاريبي، أما فلكيا فهذا المجال الطبيعي ينتمي إلى المنطقة المدارية في مجمله [17] وبالتالي فالمجال يتمتع بالمناخ المداري الحار عموما ما عدا المرتفعات ذات المناخ البارد، ومنه يتميز بتناوب فصلين اثنين، فصل جاف يمتد من شهر نوفمبر إلى شهر أبريل، وفصل مطير يمتد من شهر ماي إلى شهر أكتوبر [18] مما خلق مجالا متناقضا طبيعيا من حيث الاختلاف بين السواحل الرطبة المحاذية للمحيط الهادئ والمناطق البركانية بالأراضي العليا من غواتيمالا إلى الغابات المدارية المعروفة بالأراضي المنخفضة السفلى لإقليم يوكا تان بالمكسيك والمناطق المنخفضة العليا ذات المناخ الجاف والفقيرة إلى المسطحات المائية من أنهار وأودية [19]. ورغم هذا التناقض فإن المجال الجغرافي لحضارة المايا يشكل وحدة مساحية متكاملة [20] حيث تنوع الموارد الطبيعية التي يزخر بها كل جزء من هذا المجال، ما جعل إنسان المايا يجدد أساليب تأقلمه باستمرار ويغير من وسائل الاستنفاع منه [21] لهذا

يرى ذوي الاختصاص من علماء البيئة بأن المجال الطبيعي لحضارة المايا يشكل أكبر بيئة متنوعة في العالم؛ نعم هناك تباين في التضاريس من مرتفعات إلى هضاب ومنخفضات، فهذا ما يميزه فعلا.

وعليه يمكن تقسيم المجال الطبيعي لحضارة المايا إلى إقليمين جغرافيين كبيرين: الأراضي العليا في قسمه الجنوبي والأراضي المنخفضة في قسمه الشمالي[22] ويمكن تقسيم هذين الإقليمين إلى أقاليم ثانوية، فالأراضي العليا نميز منها الأراضي العليا الجنوبية البركانية والأراضي العليا الشمالية المتحولة، أما الأراضي المنخفضة فنميز منها الأراضي المنخفضة الجنوبية الانتقالية وإقليم بيتان (Petén) في الوسط وشبه جزيرة يوكاتان نحو الشمال[23].

ا –الأراضي العليا

تتركز معظم الثروات الطبيعية في الأراضي العليا التي تحتل حوالي نصف مساحة غواتيمالا وإقليم شياباس بالمكسيك والسلفادور[24] ويغلب عليها الطابع الجبلي حيث لا يزال 09 براكين من أصل 12 نشيطا[25] مما يجعل الأراضي ذات خصوبة عالية نتيجة الرواسب البركانية إضافة إلى الرواسب النهرية التي تتركها المياه المتدفقة لنهر أزوماسينتا ونهر موتاقوا المنحدرة من شمال هذه الأراضي [26] وفي مجملها فإن هذه المنطقة تعرف مناخا معتدلا ما عدا على قمم الجبال البركانية،مما جعلها تتميز بفصلين : فصل رطب يمتد من شهر ماي إلى شهر ديسمبر وفصل جاف يمتد من شهر يناير إلى شهر أ ريل[27] حيث تصل نسبة التساقط حوالي 3000 مم سنويا أما درجة الحرارة فتتراوح ما بين 15^0 و 25^0 مئوية[28].

هذه ليست المميزات الوحيدة للأراضي العليا بل تتوفر أيضا على مختلف الحجارة لصناعة الأدوات الضرورية مثل السكاكين ورؤوس السهام التي تصنع من حجر الزجاجي البركاني، والصخور البركانية الصلبة لتشييد مختلف المباني[29].

رغم أن الأراضي العليا تتوفر على الشروط الطبيعية الملائمة لقيام حضارة من تربة خصبة و أنهار جارية والمناخ المعتدل والموارد الطبيعية من مختلف الحجارة إلا أنها لم تكن الأراضي التي اختارها شعب المايا لتشييد حضارتهم ولم تساهم في تقديم عناصر لتطوير الفكر الديني والمعتقد عندالمايا.

كما تتسع الأراضي العليا إلى أقصى جنوب غواتيمالا لتضم الأراضي الساحلية للمحيط الهادئ التي تتميز بنفس الخصائص الطبيعية بالإضافة إلى الثروة المائية من مختلف الأسماك والصدفيات[30].

ب– الأراضي المنخفضة

تمتد الأراضي المنخفضة على أكبر مساحة من غواتيمالا وبيتان والبيليز وشبه جزيرة يوكا تان. وهي عبارة عن هضاب كلسية مستوية قليلة المسطحات المائية [31]. وتتميز بمناخ حار حيث ننتقل من الأراضي المنخفضة الجنوبية إلى الشمالية مرورا بالغابات المدارية الرطبة والأحراش بشبه جزيرة يوكا تان حيث يختلف علو الأشجار الذي يتراوح ما بين 15 و 70 متر[32].

تمثل الأراضي المنخفضة الجنوبية منطقة انتقالية إلى شمال الأراضي العليا، تضم منطقة غابية في كل من شياباسوطابسكو وجنوب كمباش وإقليم كويتنارو بالمكسيك[33] حيث كمية التساقط كبيرة تغذي أنه ارا كثيرة منهاباسيو حوض إزابال وريو دولتشي والتي تلعب دورا هاما حيث تزويد الإنسان بالمياه العذبة كما تمثل طرقا نهرية صالحة للملاحة ورواسبها تخصب الأراضي المجاورة لها[34].

أما الأراضي المنخفضة الوسطى أو إقليم بيتانفي غواتيمالا والبيليز وجزء من أقاليم المكسيك وتمثل أراضي قليلة المنعرجات تكسوها الغابات المدارية حيث يصل علو الأشجار إلى حوالي 45 مترا، والبحيرات الواسعة، التي تملؤها مياه الأمطار الغزيرة المتساقطة خلال الفصل المطير [35]، إذ تصل كمية التساقط إلى 1500 مم سنويا من شهر جوان إلى ديسمبر [36] رغم هذا فإن المنطقة تبقى فقيرة إلى الموارد الطبيعية وإلى الأراضي الصالحة للزراعة.

هذا ما يشكل أكبر أسرار حضارة المايا التي وصلت قمة التطور في هذه الأراضي الفقيرة إلى الثروات الطبيعية[37].

تمتد الأراضي المنخفضة الشمالية على شبه جزيرة يوكا تان التي تعتبر أراض كلسية محضة مستوية تقريبا حيث تعد أفقر المناطق إلى المسطحات المائية إذ تتسرب المياه السطحية نحو باطن الأرض التي تشكل مياها جوفية تتمثل في مختلف الآبار الطبيعية المعروفة عند المايا باسم السينوت (Cénotes)[38]والتي يرتفع منسوب مياهها خلال الفترة المطيرة القصيرة من أواخر شهر ماي إلى سبتمبر مما يجعل الغطاء النباتي قليل شبيه بالأدغال أكثر منه غابة[39] نتيجة المناخ السائد في المنطقة وهو المناخ الجاف[40].

وعلى العموم فإن الأراضي المنخفضة تشكلها طبقة كلسية رسوبية مستوية حيث طبقة التربة رقيقة.

ومن أكبر المشاكل التي تظهر في هذه الراضي هو نفاذيتها إذ تسرب المياه إلى باطن الأرض [41]. وهذا لم يمنع أن حضارة المايا نشأت وسط الغابات المدارية لإقليم بيتان بغواتيمالا [42] بدلا من الأراضي العالية (المرتفعة) التي تتوفر على الشروط الطبيعية الملائمة لقيام حضارة.فهل علينا أن نعتبر هذا نوعا من التناقض الطبيعي غير مفهوم لاختيار شعب المايا الغابات المدارية لتشييد مدنهم الواسعة ومراكزهم الدينية ذات المعمار الضخم والفن الرفيع الزخرفي والنقوش المختلفة[43]؟

أما تحديد المجال الزمني يشكل تعقيدا نتيجة صعوبة الدراسة للمنطقة من حيث تناثر المخلفات الأثرية على مختلف المدن الواسعة التي لم تتطور في وقت واحد، بل كان التطور منفردا متداخلا ومتلاحقا، مما جعل الأثريون والمؤرخون يقسمون المجال الزمني لحضارة المايا إلى ثلاث مراحل من التطور، وفقا لمدى غزارة المخلفات الأثرية أو قلتها وأيضا بالنظر إلى تطور تلك المدن التي شيدها المايا من حيث عناصر التجديد العمرانية والمعتقد والفن بكل جوانبه وغيرها، وعليه ميز الباحثون المرحلة ما قبل الكلاسيكية من المرحلة الكلاسيكية إلى المرحلة ما بعد الكلاسيكية . وإذا حدث الاتفاق على تسمية المراحل على هذا النحو فإن الاختلاف قائم بينهم حول تحديد الفترة التي استغرقتها كل مرحلة حيث نجد أن المرحلة ما قبل الكلاسيكية تمتد عند البعض ما بين 2000 قبل الميلاد إلى 300 ميلادي كما جاء ذكره عند المؤرخ "ديمارست" (Demarest)[44] والكلاسيكية ما بين (300 و 900 ميلادي).أما "بودي" (Baudez)[45] فيرى بأن المرحلة ما قبل الكلاسيكية تمتد ما بين (2000 ق.م و 100 ميلادي) والمرحلة الكلاسيكية ما بين (250 م و 950 م)، أما الفترة الزمنية ما بين (100 م و 250 م) يعتبرها فترة انتقالية استغلتها مدينة تيوتيوكان (Teotihuacan) للبروز وأخذ مقاليد السيطرة والقوة على المدن المجاورة لها.أما المؤرخة "مير"(Meyer)[46] تحدد المرحلة ما قبل الكلاسيكية ما بين (1500 قبل الميلاد و150 ميلادي) وأما المرحلة الكلاسيكية ما بين (150–900 م). وأخيرا نذكر المتخصص في فك رموز الكتابة الغليفية التي استعملها شعب المايا، المؤرخ "دافوست" (Davoust)[47] الذي يذكر في كتابه ثلاث مراحل: المرحلة الأولى (ما قبل الكلاسيكية) ما بين (2000 ق.م و 250 م) والمرحلة الكلاسيكية (250م و909م) وأخيرا المرحلة الثالثة (ما بعد الكلاسيكية) (909م–1516 م).

وقد يرجع هذا الاختلاف وفق اطلاعي على هذه المؤلفات إلى اختلاف زاوية الدراسة التي يناولها الباحث التي تتباين هي الأخرى ما بين الدراسة المعمارية الفنية والدراسة العمرانية الدينية والدراسة الاقتصادية الاجتماعية ناهيك عن الدراسة الفنية والجمالية للمخلفات الأثرية لشعب المايا هذا ما يشكل بالمقابل إشكالا لدينا في هذه الدراسة حيث يصعب تحديد وتوضيح تفاصيل دراسة حضارة المايا حيث أن الهدف والغرض الأساسي منها هو التعريف بحضارة المايا التي تنتمي زمنيا إلى مرحلة التاريخ القديم للحضارات في القارة الأمريكية وخاصة أمريكا الوسطى ويتطابق الإطار الزمني للدراسة مع قمة ورقي حضارة المايا.

1. المرحلة ما قبل الكلاسيكية (1200 ق.م–250 م)

تعد هذه المرحلة، فترة تعايش مختلف الثقافات التي عرفتها أمريكا الوسطى [48] حيث عرف الإنسان الاستقرار و الزراعة وبالتالي تكوين المجتمعات المدنية[49] ذات أنظمة طبقية تحت حكم قيادات منفردة للحاكم

الذي يعتبر السلطة العليا يدير الشؤون الاجتماعية والدينية والسياسية[50] وفي حوالي 800 و700 ق.م ظهرت العمارة المدنية والعمارة الدينية وتشييد المعابد والأهرامات والذي تطور خلال الفترة الممتدة ما بين (300 و200 ق.م) حيث تتميز البناءات بالضخامة وتحولت المدن إلى مراكز دينية كبرى [51] تحيط بها المجمعات السكنية الواسعة.

لقد عرف إنسان هذه الفترة تقنية الأرض المحروقة لتخصيب الأراضي والحصول على أراضي زراعية جديدة تستجيب لمتطلبات السكان المتزايدة مع تزايد عدد السكان وتوسع المدن وتعددها وبالتالي تنشيط الحركة التجارية من خلال مختلف التبادلات حيث استغلت كل مدينة الثروات الطبيعية الخاصة بها[52]، لكن هذا ليس دليلا كافيا على وجود وحدة حضارية للمايا حيث أن الشيء المؤكد هو تأثير شعب الأ ولمك الذي تربع على مساحة واسعة من المكسيك على باقي الأقوام المجاورة حيث تطورت على طول الشريط الساحلي لخليج المكسيك أو ما يعرف بالأراضي العليا الوسطى بتشييد المراكز الدينية ذات المعمار الضخم [53]، والأهرامات العالية ذات النقوش الفنية الجمالية العالية التقنية واستعمالهم للفخار المتعدد الألوان [54] ومنه تنظيم قيادات عسكرية، دينية وسياسية مركبة في كل من إقليم "طابسكو" (Tabasco) وإقليم "فيراكروز" (Veracruz) بالمكسيك[55].

وتدل الاكتشافات الأثرية الحديثة إلى أن حضارة المايا قد نشأت على بقايا حضارة الأ ولمك إذ ثبت أن الشعوب الأولى للمايا التي سكنت الأراضي المنخفضة الوسطى تزامنت مع أواخر شعب الأ ولمك حيث ربطتهم علاقات تجارية على الأرجح[56].

2. المرحلة الكلاسيكية (250–900 م)

لقد حدد الأثريون والمؤرخون سنة 250 ميلادي كحد فاصل بين المرحلة ما قبل الكلاسيكية والمرحلة الكلاسيكية، هذا بهدف إعطاء إطار زمني تسلسلي لحضارات أمريكا الوسطى، رغم أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى لا يحدث فجأة إنما تلقائيا بصفة تدريجية، وهذا ما حدث في مختلف مناطق مجال المايا الجغرافي[57] حيث أن حضارة المرحلة الكلاسيكية هي نتيجة تطور مستمر طويل بدأ –على الأقل– خلال القرن السادس قبل الميلاد أو القرن الخامس قبل الميلاد. يكون تحديد النقطة التاريخية الانتقالية وفق ظهور عناصر جديدة مختلفة عما كان موجودا في المرحلة السابقة،ومن هذه العناصر التي ميزت المرحلة الكلاسيكية بداية من سنة 250 ميلادي، نجد القبة شبه المقوسة في المجال المعماري والتي أطلق عليها المختصون اسم "قبة المايا"والنصب الحجرية والمذابح والأحراش وحواشي الجدران التي تزينها . إضافة إلى

قياس الزمن بواسطة الحساب الطويل وغيرها من العناصر الجديدة التي النقوش الغليفية اجتمعت في الأراضي المنخفضة الوسطى من المجال الجغرافي لحضارة المايا[58].

وعليه، تعتبر المرحلة الكلاسيكية العصر الذهبي لحضارة المايا حيث بلغت مدنها الكبرى قمة التطور والرقي[59] وللتدقيق أكثر لتسهيل دراسة حضارة المايا من كل الجوانب، يقسم المؤرخون المرحلة الكلاسيكية إلى ثلاث فترات[60] مثل ما أورده المؤرخ "بودي" (Baudez) حيث يذكر: المرحلة الكلاسيكية القديمة (250 م –600 م)وتنتشر معالمها الأثرية في الأراضي المنخفضة الوسطى وقليلة جدا في الأراضي المنخفضة الشمالية.

تتميز هذه الفترة بتلك العلاقات التي ربطت سكان هذه الأراضي المنخفضة الوسطى بأكبر المراكز الحضارية التي عرفتها أمريكا الوسطى خلال هذه الفترة وهو مركز "تيوتيوكان" (Teotihuacan) الشيء الذي أثر مباشرة على نظام الحكم السياسي في المنطقة. كما عرفت الفترة الكلاسيكية القديمة هذه تشييد النصب الحجرية ذات النقوش مما يدل على وجود مدن–دول متنافسة يحكم كل واحدة منها ملك الذي يستمد شرعيته من أجداده الآلهة حيث يعتبر بذلك وسيطا بين عالم الإنسان وعالم الآلهة [61] والغرض من هذه النصب تمجيد الملوك بشكل دائم خاصة بعد نقش صورهم عليها رمزا للديمومة إضافة إلى الرموز الغليفية العددية التي تدون التواريخ والذي يعتبر نوعا من الوعي التاريخي لشعب المايا حيث سجلوا بذلك تعاقب الأسر الحاكمة، إذ أن زوال تشييد النصب التذكارية والأثاث الجنائزي دليل على تدهور ونهاية الفترة الكلاسيكية القديمة وبداية الفترة الكلاسيكية الحديثة (600 م – 800 م) التي تمثل قمة التطور الذي وصل إليه المايا حيث تشهد بناء المراكزالحضارية الكبرى في عدة مدن، منها "تيكال" (Tikal)، و"بالونك" (Palenque)، و"ياكسشيلان" (yaxchilàn) إضافة إلى مدينة "كوبان" (Copán) وهي المدينة الوحيدة التي استقر بها المايا بدون انقطاع منذ المرحلة ما قبل الكلاسيكية والتي تقع على الحدود الشرقية لمجال المايا الجغرافي.

أما الفترة الكلاسيكية النهائية (800 م–900 م)، فقد عرفت تزايدا سكانيا هائلا في الأراضي المنخفضة الوسطى وتعد فترة تقهقر وهجرة المدن الكبرى، وبداية تطور مدن الأراضي المنخفضة العليا في شبه جزيرة يوكاتان[62].

3. الفترة ما بعد الكلاسيكية (900 م–1521 م)

واجه شعب المايا في يوكاتان وسكان الأراضي العليا في غواتيمالا شعوبا أقوى منها حيث وقعت تحت سيطرتها، رغم أن هذه الشعوب الوافدة لم تعرف فنا ولا معمارا راقيا، إلا أنهم عاشوا حياة متطورة في شمال يوكاتان ووسط بيتان وفي الأراضي العليا الجنوبية [63] حيث يظهر أن المرحلة عرفت تطورا اقتصاديا قائما على التجارة بدليل العثور على مواد أجنبية عن المنطقة مثل الذهب الآتي من جنوب أمريكا الوسطى والنحاس المستقدم من السواحل الغربية للمكسيك إضافة إلى حجر الفيروز من الجنوب الغربي لأمريكا الشمالية وتعد هذه من العناصر الجديدة التي ميزت المرحلة ما بعد الكلاسيكية التي عرفت تعاقب حضارتين هامتين وهي حضارة "التولتك" (Toltèques) و حضارة "الأزتك" (Aztèques)[64].

لقد استقر شعب التولتك في شمال مدينة مكسيكو الحالية بداية من 950 م وضموا إليهم ما تبقى من سكان مدينة تيوتيوكان[65] خلال القرن الثاني للميلاد، و استرجع التولتك المعالم الحضارية لهذه المدينة واستغلوها كبداية لانطلاقتهم في المنطقة قبل أن يتحولوا إلى مدينة "تولا" (Tula)، التي أصبحت المركز الحضاري لحضارة التولتك كما تدل عليه المخلفات الأثرية التي تم اكتشافها[66].

يعتبر الأزتك ورثة التولتك حضاريا في المكسيك و هم شعب قدم من الشمال الغربي لمكسيكو واستقروا بها حوالي 1200م[67] والذين استطاعوا تكوين إمبراطورية واسعة الأرجاء سطعت خلالها مدينة "تينوشتي تلان" كمركز حضاري قبل أن يقضي عليهم الإسبان سنة 1521 م.

وبذلك تنتهي تاريخ الحضارات القديمة التي عرفتها منطقة أمريكا الوسطى، وبداية حقبة تاريخية جديدة أوربية الصنع والتي استطاعت خلال سنوات وجيزة دفن ذاكرة شعوب كاملة استغرقت آلاف السنين في مسيرتها نحو الرقي والتطور.

الهوامش

1) Lemann (Henry), les civilisationsprécolombiennes, 12ème édition, Ed.P.U.F, (paris 2008), p.8.

2) Rachet (Guy), Les mondesdisparus, des égyptiens aux mayas, Ed.Hachette, (paris 1979), p.12.

3) GallenKamp (Charles), les mayas la découverte d'une civilisation perdue, Ed.Payot, (paris 1979), p.12.

4) Lehmann (Henry), Op.cit., p.10.

5) Demarestre (Arthur), op.cit, p.66.

6) Thompson (J.-E.), « la majorité des opinions oscillant entre 10.000 et 20.000 ans avant notre ère » dans : Grandeur et décadence de la civilisation maya

7) lehmann (henry), Op.cit., p10: « dix à quinze mille ans, peut-être même trente mille, c'est là toute l'antiquité qu'on accorde généralement à l'homme américain », p.49.

8) GallenKamp, Op.cit., p.67 : « il existe des preuves certaines de la présence de l'homme dans le nouveau monde au moins 10 000 ans avant J.C, mais des avis autorisés font remonter cette apparition à 25.000 et 50.000 ans avant J.C ».

(9 Lemoy (Christian), p.5 et Pérez (Raoul), les mayas, p.25.

(10 Gendrop (Paul), les mayas, Ed.P.U.F, (paris 2008), p.5.

(11 Thompson (J.-E.), Op.cit.,p.49.

(12 Lehmann, Op.cit., p.10; Soustelle, les olmèques, p.10.

(13 Lemoy (Ch.), Op.cit., p.9.

(14 Soustelle (Jacques), les mayas, Ed. L'odyssée, (paris 1982), p.7.

(15 Morley (Griswold Sylvanus), the ancient Maya, 4ème edition, Ed.Stanforduniversitypress, (California 1983), p.19.

(16 Thompson (John Eric), Grandeur et décadence d'une civilisation, p.26.

(17 Gube (Nicolaï), p.21

(19 Taladoire (E.), les mayas, Ed. du chêne, (paris 2010), p.14

(20 Thompson, Op.cit, p.26

(21 Baudez (C.-F.), les mayas, Ed. Les belles lettres, (paris 2009), p.25

(22 Morley (G.S), op cit, p20.

(23 Ibid., p 24.

(24 Talaboire (E.), Les mayas, p.14.

(25 Grube, Op.cit, p.22.

(26 Taladoire, les mayas, p.14

(27 Baudez (C.-F.), Op.cit, p.26

(28 Morley, Op.cit, p.29

(29 Thompson, Op.cit, p.29

(30 Baudez (C.-F.), Loc.cit.

(31 Demareste, les Mayas, p25

(32 Baudez, Op.cit, p.28

(33 Grube, Op.cit, p.24

(34 Baudez, Op.cit,p.28

(35 Thompson, Op.cit, pp.31-32.

(36 Baudez, Op.cit, p.28

(37 Thompson, Op.cit, p.32

(38 Soustelle (J.), Op.cit, p.7

(39 Lehmann (Henry), « l'apogée d'une civilisation», dans Archéologia, N°22, Ed.Faton, (paris 1968), p.8.

(40 Thompson, Op.cit, p.35.

(41 Grube, Op.cit, p.25.

(42 Soustelle (J.), Op.cit, p.7.

(43 Lehmann, Op.cit, p.8.

(44 Demarest, Op.cit, pp.28-29

(45 Baudez (C.-F.), une histoire de la religion des mayas, Ed. Albin Michel, (paris 2002), pp.17-19-20.

(46 Meyer (Laure), « art précolombien au grand palais du Mexique», dans Archéologia, V.II, N°258, Ed.Faton, (paris 1990), pp.16-20.

(47 Davoust (Michel), L'écriture maya et son déchiffrement, Ed.C.N.R.S, (paris 1995), p.14.

(48 Meyer (L.), Op.cit, p.16.

(49 Davoust (M.), Op.cit, p.14.

(50 Rubalbica (Jill), Great empires of the past: empires of the Maya, Ed.Chelsea house, (U.S.A 2009), p.8.

(51 Rosdel (Christian), le Mexique, Ed.Karthala, (paris 1997), pp.32-33.

(52 Auzia (D.) etLabourdette (J.-P.), Guatemala, Ed. Le petit futé, (paris 2007), p.26.

(53 Adams (R.),Op.cit., p.11.

(54 Bemont, Op.cit.,p302.

(55 Demarest, Op.cit, p.28.

(56 Baudez, Op.cit, p.19.

(57 Grube, Op.cit, p.15

(58 Baudez, Op.cit, p.20.

(59 Demarest, Op.cit, p.26

(60 Meyer (Laure), Op.cit, p.16.

(61 Grube, Op.cit, pp.15-16.

(62 Baudez, Op.cit,pp.22-23 et 24.

(63 Demarest, Op.cit, p.30.

(64 Grube, Op.cit,p.16.

(65 Piemont, Op.cit, p.303.

(66 Lehmann, Op.cit,pp.25-29.

(67 Mac Donald (F.), the Aztec and Maya worlds, Ed.Rosen publishing group,(New York,2009), p.4.